

عِظَةُ الْأَمْثَالِ (مَتَّى ١٣)

الفصل الثاني عشر: مثلُ الزارع



١- الاستقبال

كثيرًا ما نتعلّم من الأرض. في زمنٍ لم تكن المواصلات والصناعة والتجارة مُتطوّرةً، كانت الزراعة مصدرَ العيش الأوّل لأجدادنا القدماء. هل سبق لك أن اختبرت الزراعة في الحقل؟ هل أعطى الزرع ثمرًا؟ استعمل يسوع أمثالًا من حياة الناس القروية اليومية لكي يفهمهم حقائقٍ ساهويةٍ تتعلق بالأمور الروحية. فالمثل يثير لدى السامع التفكير والسؤال والبحث عن التطبيق.

في الفصل ١٣ من إنجيل متى سبعة أمثال، ومغزاها واحد: ملكوت الله ملكوتٌ روحيٌّ داخليٌّ، لا ملكوتٌ خارجيٌّ زمينيٌّ على ما كان يتوقّعه اليهود. ما الأثر الذي يتركه فيك حضورك لاجتماعات الموعوظية؟ هل

هموم الحياة والضغط الاجتماعي والعائلي يُخفف من عزيمة وشوقك إلى العباد؟ أي ثمرٍ تشعر أنك تُعطي في حياتك؟ سنحاول في لقاءنا اليوم أن نتحدث عن مثل الزارع وعن الضمير الباطني الأخلاقي والمهني الذي يجب أن نتحلّى به.

٢- قراءة الإنجيل وتفسيره: مثلُ الزارع (١٣: ١-٩)

١ في ذلك اليوم خرج يسوع من البيت، وجلس بجانب البحر. ٢ فازدحمت عليه جموعٌ كثيرةٌ، حتى إنه ركب سفينة وجلس، والجمع كله قائم على الشاطئ. ٣ فكلمهم بالأمثال على أمور كثيرة قال: هوذا الزارع قد خرج ليزرع. ٤ وبينما هو يزرع، وقع بعض الحب على جانب الطريق، فجاءت الطيور فأكلته. ٥ ووقع بعضه الآخر على أرضٍ حجرة لم يكن له

فيها تُرابٌ كثير، فَنَبَتَ مِنْ وَقْتِهِ لِأَنَّ تَرَابَهُ لَمْ يَكُنْ عَمِيقًا. ^٦ فَلَمَّا أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ احْتَرَقَ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ أَصْلٌ فَيَسِس. ^٧ وَوَقَعَ بَعْضُهُ الْآخَرَ عَلَى الشُّوكِ فَارْتَفَعَ الشُّوكُ فَخَنَقَهُ. ^٨ وَوَقَعَ بَعْضُهُ الْآخَرَ عَلَى الْأَرْضِ الطَّيِّبَةِ فَأَثْمَرَ، بَعْضُهُ مِائَةً، وَبَعْضُهُ سِتِّينَ، وَبَعْضُهُ ثَلَاثِينَ. ^٩ فَمَنْ كَانَ لَهُ أُذُنَانِ فَلْيَسْمَعْ!

١.٢ - الشرح

المَثَلُ هُوَ تَعْلِيمٌ بَسِيطٌ وَسَهْلٌ الْفَهْمِ، يَجْعَلُ السَّامِعَ يُفَكِّرُ وَيُجَلِّلُ لِيَصِلَ إِلَى إِصْدَارِ الْحُكْمِ عَلَى نَفْسِهِ عَفْوِيًّا. عَلَى الْمُسْتَوَى الْعِلْمِيِّ الْغَوِيِّ، تَعْنِي كَلِمَةُ Parable الْفَرَنْسِيَّةَ خَطًّا بِشَكْلِ نِصْفِ دَائِرَةٍ، فَلَا تَذْهَبُ مِنَ النُّقْطَةِ أ إِلَى النُّقْطَةِ ب بِخَطِّ مُسْتَقِيمٍ إِنَّهَا بَعْدَ الْقِيَامِ بِنِصْفِ دَائِرَةٍ. هَكَذَا الْمَثَلُ هُوَ قِصَّةٌ ذَاتُ مَعْرَى لَا تُقَالُ مُبَاشَرَةً. كَانَ لِكُلِّ شَعْبٍ أَمْثَالُهُ. وَفِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ سَفَرٌ لِلْأَمْثَالِ فِيهِ مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْحُكْمِ وَالْقَوَانِينِ الَّتِي تُخَصُّ الْحَيَاةَ الْأَدْبِيَّةَ. وَقَدْ اسْتَعْمَلَ يَسُوعُ هَذَا النُّوعَ الْأَدْبِيَّ «الْأَمْثَالِ» عَلَى شَكْلِ قِصَّةٍ قَصِيرَةٍ مُسْتَوْحَاةٍ مِنَ الْحَيَاةِ الْيَوْمِيَّةِ.

يُعْتَبَرُ مَثَلُ الزَّارِعِ مِنْ أَهَمِّ الْأَمْثَالِ وَأَشْهَرِهَا. بِالرَّغْمِ مِنَ السُّهُولَةِ الْمَبْدِئِيَّةِ لِفَهْمِهِ، يُعْطِي يَسُوعُ تَفْسِيرًا لِهَذَا الْمَثَلِ فِي ١٣: ١٨-٢٣. عَرَضَ الْمَثَلُ أَرْبَعَةَ أَنْوَاعٍ مِنَ الْأَرْضِ الَّتِي تَتَلَقَّى الزَّرْعَ: جَانِبَ الطَّرِيقِ، الْأَرْضَ الصَّخْرِيَّةَ، بَيْنَ الشُّوكِ، وَالْأَرْضَ الطَّيِّبَةَ. يُقَابَلُهَا أَرْبَعَةُ أَنْوَاعٍ مِنَ مَصِيرِ الْحَبِّ: حَبٌّ يُوَكَّلُ مِنَ الطَّيُورِ، حَبٌّ يَنْبُتُ وَيَيْسِسُ، حَبٌّ يَنْبُتُ وَيَخْتَبِقُ، وَحَبٌّ يَثْمُرُ.

إِنَّ الزَّارِعَ الْأَوَّلَ هُوَ اللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ ابْنَهُ إِلَى الْعَالَمِ. فَيَسُوعُ هُوَ نَبَاتُ السَّمَاءِ الْمُرْسَلُ إِلَى الْأَرْضِ لِيُحَقِّقَ فِيهَا عَهْدَ الْخَلَاصِ الْجَدِيدِ. إِنَّ الزَّارِعَ وَائِثُ مِنْ غَلَّةٍ أَرْضِيهِ، رَغْمَ كُلِّ الْأَخْطَارِ؛ وَبُشْرَى الْمَلَكُوتِ مُتَّصِرَةٌ فِي النِّهَايَةِ رَغْمَ كُلِّ الْعَقَبَاتِ. بِمَجِيءِ الْمَسِيحِ افْتَبَحَتِ الْأَزْمَنَةُ الْأَخِيرَةُ، وَقَدْ تَمَّ اللَّقَاءُ بَيْنَ الْحَبِّ وَالْأَرْضِ. تَبْقَى الْعِبْرَةُ فِي الثَّمَرِ. وَبُشْدُ الْمَثَلِ فِي النِّهَايَةِ عَلَى أَنَّ الْحَبَّ الَّذِي وَقَعَ فِي التُّرْبَةِ الطَّيِّبَةِ أَثْمَرَ ثَمْرًا كَثِيرًا «مِئَةً وَسِتِّينَ وَثَلَاثِينَ» وَكَأَنَّهُ عَوَّضَ عَنْ كُلِّ التَّعَبِ وَالْمَجْهُودِ الَّذِي قَامَ بِهِ الزَّارِعُ فِي الْبِدَايَةِ.

لَقَدْ شَرَحَ إِنْجِيلُ مَتَّى فِي الْفَصَلَيْنِ ١١ وَ ١٢ مُعَارَضَةً بَعْضَ الْيَهُودِ لِبَشَارَةِ يَسُوعِ وَعَدَمَ الْإِيْمَانِ بِرِسَالَتِهِ، وَيُلَخِّصُ الْآنَ فِي عِظَةِ الْأَمْثَالِ (مَتَّى ١٣) وَخَاصَّةً فِي مَثَلِ الزَّارِعِ رَدَّاتِ الْفِعْلِ الْأَوَّلَى حَوْلَ الْبَشَارَةِ بِالْمَلَكُوتِ الَّتِي تَمَّتْ بِالْأَقْوَالِ (مَتَّى ٥ - ٧) وَبِالْأَفْعَالِ (مَتَّى ٨ - ٩).

يَدْعُونَا الْمَثَلُ أَنْ نَكُونَ التُّرْبَةَ الطَّيِّبَةَ الَّتِي تُثْمِرُ فِيهَا بُشْرَى الْمَلَكَوْتِ. عَلَيْنَا أَنْ نَشَجَّعَ رَعْمَ هُمُومِ الْعَالَمِ وَالْآنَ نَفْقِدُ الثَّقَةَ فِي قُوَّةِ كَلِمَةِ اللَّهِ وَفَعَالِيَّتِهَا فِي عَالَمِنَا. يَجِبُ أَلَّا نَتْرُكَ غِنَى الْأَرْضِ وَمَرَكَزَهَا يُبْعَدُنَا عَنِ الْبُوصَلَةِ الْحَقِيقِيَّةِ الَّتِي فِيهَا حَيَاتُنَا الْأَبَدِيَّةُ.

يُتَابِعُ الزَّارِعُ عِلْمَهُ الْيَوْمَ فِي الْعَالَمِ وَفِي حَيَاتِنَا. فَالْمَثَلُ يَضْعُنَا أَمَامَ طَرِيقَةِ تَلْقِينَا لِلْكَلِمَةِ، وَأَمَامَ مَنَهْجِيَّةِ اسْتِصْلَاحِ قُلُوبِنَا، لِتُصْبِحَ أَرْضًا صَالِحَةً، تُفْعَلُ الْكَلِمَةُ الْمُلْفَأَةُ فِيهَا، وَتَجْعَلُهَا تَضَاعَفُ بِالْكَمِّيَّةِ وَالنُّوعِيَّةِ. إِنَّ إِعْطَاءَ الثَّمْرِ يَعْنِي أَيْضًا مُحَاوَلَةَ تَبْشِيرِ الْآخَرِينَ وَإِقْنَاعِهِمْ بِالْحَيَاةِ الْمَسِيحِيَّةِ، مِنْ خِلَالِ حَيَاتِنَا قَوْلًا وَفِعْلًا.

وَقَدْ نَلُومُ الزَّارِعَ لِأَنَّهُ لَمْ يَعْرِفْ أَنْ يُمَيِّزَ أَنْوَاعَ الْأَرْضِ فِي زَرْعِ كَلِمَتِهِ. وَقَدْ نَسَاءُ: لِمَاذَا قِيلَ بِأَنْ يَقَعَ بَعْضُ الْحَبِّ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ، أَوْ عَلَى الْأَرْضِ الصَّخْرِيَّةِ؟ فَالْهَدَفُ مِنْ صُورَةِ الْأَنْوَاعِ الْأَرْبَعَةِ الَّتِي وَقَعَ فِيهَا الْحَبُّ هُوَ دَعْوَةُ قُلُوبِنَا جَمِيعًا، مَهْمَا كَانَتْ حَالَتِهَا، أَنْ تَعِيَ بِأَنَّهَا لَمْ تُحْرَمِ نِعْمَةَ الرَّبِّ وَكَلِمَتَهُ.

٣- التعلیم اللاهوتي والروحي: الضمير

صَوْتُ الضَّمِيرِ هُوَ صَوْتُ اللَّهِ فِي الْإِنْسَانِ، يُرْشِدُهُ إِلَى اخْتِيَارِ الْخَيْرِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ. خَلَقَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ وَجَعَلَ فِي دَاخِلِهِ نِدَاءً يَدْعُوهُ لِيَعْمَلَ بِمَا يَتَنَاسَبُ مَعَ إِرَادَةِ اللَّهِ، أَيِ الْمَحَبَّةِ. لَيْسَ الضَّمِيرُ حِكْرًا عَلَى الْمَسِيحِيِّينَ، فَاللَّهُ يُرِيدُ الْخَيْرَ لِكُلِّ النَّاسِ، وَهُوَ مُجَاوِلٌ أَنْ يُرْشِدَهُمْ بِكُلِّ الْوَسَائِلِ لِيَعْمَلُوا مَا يَتَوَافَقُ مَعَ مَشِيئَتِهِ. أَمَا الْإِنْسَانُ الْمَسِيحِيُّ الْمُؤْمِنُ فَهُوَ مَدْعُوٌّ أَنْ يُثَقِّفَ ضَمِيرَهُ، أَنْ يَجْعَلَهُ يَنْمُو بِحَسَبِ تَعَالِيمِ الْمَسِيحِ فِي الْإِنْجِيلِ وَفِي إِرْشَادَاتِ الْكَنِيسَةِ.

كُلُّ النَّاسِ إِذْنٌ عِنْدَهُمْ الْحَدُّ الْأَدْنَى مِنَ التَّمْيِيزِ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، لَكِنَّ الْمُؤْمِنَ، تَلْمِيزُ الْمَسِيحِ، مَدْعُوٌّ أَنْ يَتْرُكَ رُوحَ اللَّهِ يَقُودُهُ إِلَى الْحَقِّ كُلِّهِ. فَلَا يَرْضَى بِأَنْ يَعِيشَ الْمَحَبَّةَ فِي حَدِّهَا الْأَدْنَى، بَلْ هُوَ يَسْعَى جَاهِدًا أَنْ يُمَيِّزَ إِرَادَةَ اللَّهِ فِي مُخْتَلَفِ ظُرُوفِ حَيَاتِهِ. وَهُوَ لِذَلِكَ يَسْهَرُ عَلَى تَثْقِيفِ ضَمِيرِهِ وَتَدْرِيبِ ذَاتِهِ لِيُصْغِيَ إِلَيْهِ.

يَهْتَمُّ الْمَسِيحِيُّ إِذْنُ بِأَنْ يَسْمَعَ تَعْلِيمَ الْكَنِيسَةِ فِي الْأُمُورِ الْخُلُقِيَّةِ وَالْأَدْبِيَّةِ. فَلِلْكَنِيسَةِ كَلَامٌ كَثِيرٌ فِي الْعَدِيدِ مِنْ أُمُورِ الْحَيَاةِ. لَدَيْهَا تَعْلِيمٌ حَوْلَ احْتِرَامِ الْحَيَاةِ، وَالْمَحَبَّةِ فِي الْأُمُورِ الْعَائِلِيَّةِ، وَالْاجْتِمَاعِيَّةِ، وَحَوْلَ احْتِرَامِ الْجَسَدِ وَالْبُعْدِ الْخِنْسِيِّ لِلْإِنْسَانِ، وَحَوْلَ الْكِرَامَةِ الْبَشَرِيَّةِ، وَعَنِ الْفَضَائِلِ، إِخ. لَا تُرِيدُ الْكَنِيسَةُ هَذَا التَّعْدَادَ أَنْ تُثَقِّلَ كَاهِلَ الْمُؤْمِنِ بِكَثْرَةِ الْوَصَايَا، بَلْ أَنْ تُنِيرَ طَرِيقَهُ لِكَيْ يُجَسِّنَ اخْتِيَارَ الْمَحَبَّةِ فِي كُلِّ الظُّرُوفِ.

وَيَسْعَى الْمُؤْمِنُ إِلَى تَدْرِيبِ ذَاتِهِ، فَيَأْخُذُ وَقْتًا يُصْغِي فِيهِ إِلَى صَوْتِ صَمِيرِهِ، أَيْ صَوْتِ اللَّهِ فِي أَعْمَالِهِ. وَقَدْ عَتَادَ الْقَدِيسُونَ أَنْ يَفْحَصُوا صَمِيرَهُمْ كُلَّ يَوْمٍ، أَيْ أَنْ يُرَاجِعُوا نُصْرَ فَاتِهِمْ عِنْدَ انْقِضَاءِ النَّهَارِ، أَوْ فِي مُتَّصِفِهِ، فَيَرَوْنَ إِنْ كَانُوا قَدْ تَصَرَّفُوا بِمَا يُوَافِقُ إِيْمَانَهُمْ أَمْ إِيْمَانَهُمْ كَانُوا مَيَّالِينَ إِلَى الشَّرِّ وَالتَّنَافُسِ وَالحِقْدِ، وَسَائِرِ الشَّهَوَاتِ. لَا يَحْسُنُ أَنْ يَتْرَكَ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ يَتَصَرَّفُ عَلَى هَوَاهُ، بَلْ عَلَيْهِ أَنْ يَتَدَرَّبَ لِكَيْ تُصْبِحَ رَدَّاتُ فِعْلِهِ نَابِعَةً مِنْ رُوحِ الْإِنجِيلِ.

يُوصِينَا الْمَسِيحُ عَلَى أَنْ نَهْتَمَّ بِالنُّورِ الَّذِي فِيْنَا، لِثَلَا يُدْرِكَنَا الظَّلَامُ. فَالْإِنْسَانُ الَّذِي يَنْسَى ضَمِيرَهُ وَيُسْكِتُ صَوْتَ اللَّهِ الَّذِي فِيهِ أَوْ لَا يَسْمَعُهُ، يَقْسُو قَلْبَهُ وَيُصْبِحُ مِنْ أبنَاءِ الظَّلَامِ، وَإِذَا صَارَ النُّورُ الَّذِي فِيْنَا ظَلَامًا نَكُونُ فِي أَسْوَأِ حَالَةٍ. فَلنَسِيرُ بِالنُّورِ مَا دَامَ لَنَا النُّورُ.

٤- للقراءة والتأمل: قراءة من القديس يوحنا فم الذهب (+ ٤٠٧)

حول إنجيل: «اجتاز يسوع في السبت بين الزروع»

إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ نَتَمَسَّكَ بِأَقْوَالِ رَبِّنَا، وَنَرَعَى خِلَاصَ نَفُوسِنَا، فَنَكُونَ أَهْلًا لِقَبُولِ المَوَاهِبِ الإِلهِيَّةِ وَإِحْرَازِ النِّعَمِ الأَبَدِيِّ. إِنَّ الَّذِينَ كَانُوا يَنْظُرُونَ إِلَى تَطْهِيرِ الأَجْسَامِ والأَوَانِي، وَتَفْضِيلِ الأَيَّامِ بِاعْتِبَارِهَا فِي ذَاتِهَا، حَتَّى بَلَغَ مِنْ جَهْلِهِمْ أَنْ يُنْكِرُوا صَنْيَعَ مَنْ يَفْرِكُ يَوْمَ السَّبْتِ سُنْبُلَةً أَوْ يَشْفِي مَحْلَعًا، فَسَقَطُوا عَنْ مَرَاتِبِ الفُضِيلَةِ وَكَانُوا خَاسِرِينَ. فَإِنَّهُ يُرِيدُ رَحْمَةً لَا ذَبِيحَةَ. وَلِهَذَا يَلْزِمُنَا الأَهْتِمَامُ بِمَصَالِحِ النُّفُوسِ لَا بِالأَيَّامِ بِمَا هِيَ أَيَّامٌ، وَلَا بِالأَشْيَاءِ المَجْعُولَةِ لخدمَةِ النَّاسِ.

فَلَا نَنْظُرُ أَيُّهَا النَّاسُ، أَنْ لَنَا بِأَمْرِ الخِلَاصِ نَفْعًا فِي اغْتِنَابِ أَمْوَالِ الأَيْتَامِ والأَرَامِلِ وَأَمْثَالِهِمْ، نَصْنَعُ بِهَا كَأَسَا لِلقُرْبَانِ مِنْ ذَهَبٍ، مُرَّصَعًا بِالحِجَارَةِ الكَرِيمَةِ، وَمَائِدَةً لِلأَسْرَارِ المُقَدَّسَةِ وَمَا شَاكَلَ. وَلَكِنْ إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تُكْرِمَ الذَّبِيحَةَ الطَّاهِرَةَ، فَأَكْرِمِ الأَنْفُسَ الَّتِي ذُبِحَتْ لِأَجْلِهَا، لِأَنَّ سَيِّدَنَا، لَهُ المَجْدُ، سَاوَى هَذِهِ الأَنْفُسِ بِنَفْسِهِ، إِذْ وَبَّخَ الَّذِينَ لَا يُعْتَوْنَ بِهَا؛ قَالَ: جَائِعًا كُنْتُ فَلَمْ تُطْعِمُونِي، وَعَطْشَانًا فَلَمْ تَسْقُونِي وَعُرْيَانًا فَلَمْ تَكْسُونِي. فَإِنْ أَهْمَلْتَ هَذِهِ وَصَنَعْتَ لِنَلِكِ أَوَانِيٍّ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ، فَلَنْ تُقِيدَ شَيْئًا.

(العظة ٢٩)

